

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على
رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن
والاه أما بعد:
فإن حُسْنَ الخُلُق هو بذل الندي،
وكف الأذى، واحتمال الأذى.
وهو التخلي من الرذائل، والتخلي
بالفضائل.
وإجماع حسن الخلق أن تصل من
قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو
عمن ظلمك.
ثم إن لحسن الخلق فضائل عديدة،
فهو امتثال لأمر الله ورسوله "وبه
ترفع الدرجات، ويُيسر الأمور، وتُسْتَرُّ
العيوب، وتُكسَبُ القلوب.
وبه يسلم المرء من شرور الخلق،
ويُفِي بالحقوق الواجبة والمستحبة،
كما أن به السلامة من مضار الطيش

والعجلة، وبه راحة البال، وطيب العيش إلى غير ذلك من فضائل حسن الخلق.

ولقد يسر الله أن كتبت في هذا الشأن كتاباً عنوانه:

سوء الخلق

مظاهره_أسبابه_علاجه

ولقد تضمن ذلك الكتاب فصلاً في أسباب اكتساب حسن الخلق، بعد أن تم الحديث عن سوء الخلق ومظاهره وأسبابه.

وبما أن ذلك الكتاب من القطع الكبير وعدد صفحاته 183 رأيت أن يفرد ذلك الفصل مستقلاً في كُتَيْبٍ لأجل أن يسهل تداوله وقراءته وتوزيعه، فيسر الله ذلك بمنه وكرمه، وأسميته:

الأسباب المفيدة في اكتساب الأخلاق السعيدة

**ولقد حُذِفَ في هذا الكتيب
أكثر الهوامش إلا ما لا بدَّ منه،
فمن أراد التفصيل والإحالة
فليراجع الأصل، والله
المستعان وعليه التكلان.**

محمد بن إبراهيم

الحمد

الزلفي

4/1/1418هـ

ص.ب: 460

www.toislam.net

أسباب اكتساب حسن الخلق

لا ريب أن أثقل ما على الطبيعة البشرية تغيير الأخلاق التي طبعت عليها النفس، إلا أن ذلك ليس متعذراً ولا مستحيلاً.

بل إن هناك أسباباً عديدة، ووسائل متنوعة يستطيع الإنسان من خلالها أن يكتسب حسن الخلق، ومن ذلك ما يلي:

1_ سلامة العقيدة: فشان العقيدة عظيم، وأمرها جليل؛ فالسلوك في الغالب ثمرة لما يحمله الإنسان من فكر، وما يعتقده من معتقد، وما يدين به من دين. والانحراف في السلوك إنما هو ناتج عن خلل في المعتقد.

ثم إن العقيدة هي الإيمان، وأكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً؛ فإذا صحت العقيدة حسنت الأخلاق تبعاً

لذلك؛ فالعقيدة الصحيحة تحمل صاحبها على مكارم الأخلاق من صدق، وكرم، وحلم، وشجاعة، ونحو ذلك. كما أنها تَزِدُّهُ وتَزُمُّهُ عِن مساوئِ الأخلاق من كذبٍ، وشحٍّ، وطيشٍ، وجهلٍ، ونحوها.

2_الدعاء: فالدعاء باب عظيم، فإذا فتح للعبد تتابعت عليه الخيرات، وانهالت عليه البركات.

فمن رغب بالتخلي بمكارم الأخلاق، ورغب بالتخلي من مساوئ الأخلاق_ فليلجأ إلى ربه، وليرفع إليه أكف الضراعة؛ ليرزقه حسن الخلق، ويصرف عنه سيئه؛ فالدعاء مفيد في هذا الباب وغيره، ولهذا كان النبي_ عليه الصلاة والسلام_ كثير الضراعة إلى ربه يسأله أن يرزقه حسن الخلق، وكان يقول في دعاء الاستفتاح: **[اللهم اهدني لأحسن**

الأخلاق; لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها; لا يصرف عني سيئها إلا أنت⁽¹⁾.

وكان من دعائه: [اللهم جنبني منكرات الأخلاق، والأهواء، والأعمال، والأدواء]⁽²⁾.

وكان يقول: [اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن، والهرم، والبخل، وأعوذ بك من عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات]⁽³⁾.

3_المجاهدة: فالمجاهدة تنفع كثيراً في هذا الباب; ذلك أن الخلق الحسن نوع من الهداية يحصل عليه المرء بالمجاهدة.

⁽¹⁾ () رواه مسلم (771).

⁽²⁾ () أخرجه الحاكم 1/532 وصححه، ووافقه الذهبي.

⁽³⁾ () رواه البخاري 7/159. ومسلم (2706).

قال عز وجل: **[وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ]** (العنكبوت: 69).

فمن جاهد نفسه على التحلي بالفضائل، وجاهدها على التخلي من الرذائل حصل له خير كثير، واندفع عنه شر مستطير؛ فالأخلاق منها ما هو غريزي فطري، ومنها ما هو اكتسابي يأتي بالدربة والممارسة.

والمجاهدة لا تعني أن يجاهد المرء نفسه مرة أو مرتين أو أكثر، بل تعني أن يجاهد نفسه حتى يموت؛ ذلك أن المجاهدة عبادة، والله تبارك وتعالى يقول: **[وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ]** (الحجر: 99).

4_ المحاسبة: وذلك بنقد النفس إذا ارتكبت أخلاقاً ذميمة، وحمّلها على ألا تعود إلى تلك الأخلاق مرة أخرى، مع أخذها بمبدأ الثواب إذا أحسنت،

76 الأسباب المفيدة في اكتساب الأخلاق الحميدة

وأخذها بمبدأ العقاب إذا توانت
وقصّرت.

فإذا أحسنت أراحها، وأجمّها،
وأرسلها على سجيتها بعض الوقت في
المباح.

وإذا أساءت وقصّرت أخذها بالحزم
والجد، وحرّمها من بعض ما تريد.

على أنه لا يحسنُ المبالغة في
محاسبة النفس؛ لأن ذلك قد يؤدي
إلى انقباضها وانكماشها.

قال ابن المقفع: =ليحسن تعاهدك
نفسك بما تكون به للخير أهلاً، فإنك
إن فعلت ذلك أتاك الخير يطلبك كما
يطلب الماء السيل إلى الحدودرة+.

5_ التفكير في الآثار المترتبة

على حسن الخلق: فإن معرفة
ثمرات الأشياء، واستحضار حسن
عواقبها من أكبر الدواعي إلى فعلها،
وتمثلها، والسعي إليها.

فكلما تَصَعَّبَت النفس فذَكَرَها تلك الآثار، وما تجني بالصبر من جميل الثمار؛ فإنها حينئذ تلين، وتنقاد طائعة منشرجة؛ فإن المرء إذا رغب في مكارم الأخلاق، وأدرك أنها من أولى ما اكتسبته النفوس، وأجل غنيمة غنمها الموفقون سهل عليه نيلها واكتسابها.

6_ النظر في عواقب سوء الخلق: وذلك بتأمل ما يجلبه سوء الخلق من الأسف الدائم، والهم الملازم، والحسرة والندامة، والبغضة في قلوب الخلق؛ فذلك يدعو المرء إلى أن يُقَصِّرَ عن مساوئ الأخلاق، وينبعث إلى محاسنها.

7_ الحذر من اليأس من إصلاح النفس: فهناك من إذا ابتلي بمساوئ الأخلاق ظن أن ذلك الأمر

ضربة لازب لا تزول، وأنه وصمة عار لا
تتمحي.

وهناك من إذا حاول التخلص من
عيوبه مرة أو أكثر فلم يفلح_ أيس من
إصلاح نفسه، وترك المحاولة إلى غير
رجعة.

وهذا الأمر لا يحسن بالمسلم، ولا
يليق به أبداً؛ فلا ينبغي له أن يرضى
لنفسه بالذُّون، وأن يترك رياضة
نفسه؛ زعماً منه أن تبدل الحال من
المحال.

بل ينبغي له أن يُقَوِّيَ إرادته، ويشحذ
عزمته، وأن يسعى لتكميل نفسه، وأن
يجدَّ في تلافي عيوبه؛ فكم من الناس
مَنْ تبدلت حاله، وسمت نفسه، وقلت
عيوبه؛ بسبب دَرَبَتِهِ، ومجاهدته
وسعيه، وجِدِّهِ، ومغالبته لطبعه.

قال ابن المقفع: = وعلى العاقل أن
يحصيَ على نفسه مساوئها في الدين،

والأخلاق، وفي الآداب، فيجمع ذلك كله في صدره، أو في كتاب، ثم يكثر عرضه على نفسه، ويكلفها إصلاحه، ويوظف ذلك عليها توظيفاً من إصلاح الخلة أو الخلتين في اليوم، أو الجمعة، أو الشهر.

فكلما أصلح شيئاً محاه، وكلما نظر إلى محو استبشر، وكلما نظر إلى ثابت اكتاب+. .

8_ علو الهمة : فعلو الهمة يستلزم الجد، والإباء، ونشدان المعالي، وتطلب الكمال، والترفع عن الدنيا، والصغائر، ومحقرات الأمور. والهمة العالية لا تزال بصاحبها تضربه بسياط اللوم والتأنيب، وتزجره عن مواقف الذل، واكتساب الرذائل، وحرمان الفضائل حتى ترفعه من أدنى دركات الحضيض إلى أعلى مقامات المجد والسؤدد.

قال ابن القيم ×: = فمن علت همته،
وخشعت نفسه اتصف بكل خلق
جميل، ومن دنت همته، وطغت نفسه
اتصف بكل خلق رذيل +.

وقال ×: = فالنفوس الشريفة لا
ترضى من الأشياء إلا بأعلاها،
وأفضلها، وأحمدها عاقبة.

والنفوس الدنيئة تحوم حول
الدناءات، وتقع عليها كما يقع المذباب
على الأقدار؛ فالنفوس العليّة لا ترضى
بالظلم، ولا بالفواحش، ولا بالسرقه،
ولا بالخيانة؛ لأنها أكبر من ذلك وأجل.

والنفوس المهينة الحقيرة الخسيصة
بالضد من ذلك +.

فإذا توفر المرء على اقتناء
الفضائل، وألزم نفسه على التخلق
بالمحاسن، ولم يرضَ من منقبة إلا
بأعلاها، ولم يقف عند فضيلة إلا
وطلب الزيادة عليها، واجتهد فيما

يحسن سياسة نفسه عاجلاً، ويبقى لها الذكر الجميل أجلاً لم يلبث أن يبلغ الغاية من التمام، ويرتقي إلى النهاية من الكمال، فيحوز السعادة الإنسانية، والرئاسة الحقيقية، ويبقى له حسن الثناء مؤبداً، وجميل الذكر مُخلداً.

9_ الصبر: فالصبر من الأسس الأخلاقية التي يقوم عليها الخلق الحسن؛ فالصبر يحمل على الاحتمال، وكظم الغيظ، وكف الأذى، والحلم، والأناة، والرفق، وترك الطيش والعجلة.

واستصحب الصبر	وقل من جدّ
الافان بالظفر	في أمر تطالبه

10_ العفة: فهي تحمل على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل، وتحمل على الحياء وهو رأس كل خير، وتمنع من الفحشاء، والبخل، والكذب، والغيبة، والنميمة.

11_ الشجاعة: فهي تحمل على عزة النفس، وإبائة الضيم، وإيثار معالي الأخلاق والشيم، وعلى البذل والندى الذي هو شجاعة النفس، وقُوَّتُها على إخراج المحبوب ومفارقته.

وهي تحمل صاحبها على كظم الغيظ، والحلم؛ فإنه بقوة نفسه وشجاعتها يمسك عِنانها، ويكبحها بلجامها عن النزق والطيش.

12_ العدل: فهو يحمل على اعتدال الأخلاق، وتوسطها بين طرفي الإفراط والتفريط؛ فيحمل على خلق الجود الذي هو توسط بين البخل والإسراف، وعلى خلق التواضع الذي هو توسط بين الذلة والكبر، وعلى خلق الشجاعة الذي هو توسط بين الجبن والتهور، وعلى خلق الحلم الذي

هو توسط بين الغضب، والمهانة وسقوط النفس.

13_ تَكَلَّفُ الْبَشْرَ وَالطَّلَاقَةَ،

وُجِبْتُ الْعَبُوسَ وَالتَّقَطِيبَ: قال

ابن حبان X: = البشاشة إدام العلماء، وسجية الحكماء؛ لأن البشْر يطفئ نار المعاندة، ويحرق هيجان المباغضة، وفيه تحصين من الباغي، ومنجاة من الساعي +.

وقال أبو جعفر المنصور: = إن أحببت أن يكثر الثناء الجميل عليك من الناس بغير نائلٍ فالقهم ببشر حسن +.

= قيل للعتابي: إنك تلقى الناس كلهم بالبشر!

قال دفع ضغينة بأيسر مؤونة، واكتساب إخوان بأيسر مبدول +.

وقال محمد بن حازم:

وما اكتسب بمثل البشر
المحامد والمه الطلقة

وقال آخر:

أخو البشر **ولن يعدم البغضاء**
محبوب على **من كان عاسا**

وقال آخر:

البشر يكسب **صدق المودة**
أهله **المحبة**
والتيه يستدعي **حبه المذمة**
لصا **المسنة**

وقال ابن عقيل الحنبلي ×: =البشر
 مؤنس للعقول، ومن دواعي القبول،
 والعبوس ضده +.

بل إن تبسم الرجل في وجه أخيه
 المسلم صدقة يثاب عليها.

قال النبي " =تبسمك في وجه
 أخيك لك صدقة + (1).

وقال عليه الصلاة والسلام: = لا
 تحقرن من المعروف شيئاً ولو
 أن تلقى أخاك بوجه طلق + (2).

(1) أخرجه الترمذي (596) وقال : هذا حديث
 حسن غريب، وصححه الالباني في الصحيحة ()
 (272)، وصحيح الجامع (2905).
 (2) رواه مسلم.

ومما ينبغي أن يعلم في هذا الصدد أن السرور يعتمد على النفس أكثر مما يعتمد على الظروف الخارجية. ويخطئ من يظن أن أسباب السرور كلها في الظروف الخارجية، فيشترط؛ ليسرَّ مالاً، وبنين، وصحةً، وظروفاً مواتيةً ونحو ذلك من أسباب السرور. فإذا حصلت له أيسرٌ وسُرٌّ، وإن لم تحصل له عبس، وقطب، ونعص على نفسه وعلى من حوله، وقال: على الدنيا العفاء.

لا، ليس الأمر كذلك؛ فالسرور نابع من النفس، والكرام يجودون بالبشر، والتبسم ولو كانت أسبابه بعيدة عنهم.

ومن أحكم ما قالته العرب:

ولربما ابتسم وفؤأده من جرّه
الكرم من الأذى. تتأهه

فالابتسام للحياة يضيؤها، ويعين على احتمال مشاقها.

والمبتسمون للحياة أسعد الناس
حالاً لأنفسهم ومن حولهم.
بل هم مع ذلك أقدر على العمل،
وأكثر احتمالاً للمسؤولية، وأجدر
بالإتيان بعظائم الأمور التي تنفعهم،
وتنفع الناس؛ فذو النفس الباسمة
المشرقة يرى الصعاب فيلذّه التغلب
عليها، ينظرها فيبتسم، وينجح فيبتسم،
ويخفق فيبتسم.

وذو النفس العابسة المتجهمة لا
يرى صعاباً، فيوجدّها، وإذا رآها أكبرها،
واستصغر همته بجانبها، فهرب منها،
وظفق يسب الدهر، ويعاتب القدر.
وإذا كان الأمر كذلك فأجدر بالعاقِل
ألا يُرى إلا هاشاً باشاً، مُتهللاً مُتطلقاً.
فإن كان ذلك سجية في المرء
وطبعاً فليحمد الله، وليتعاهد هذه
الخصلة الحميدة من نفسه.

وإلا فليجاهد نفسه على تكلف
البشر والطلاقة، وعلى تجنب العيوس
والتقطيب جملة؛ حتى تالف ذلك
نفسه، وتأنس به أنس الرضيع بثدي
أمه.

وحينئذ ترق حواشيه، وتلين عريكته،
ويؤنس في حديثه، ويرغب في
مجلسه.

ومن أعظم ما يعين على اكتساب
تلك الخلّة الإقبال على الله عز
وجل وطهارة القلب، وسلامة
المقاصد، والبعد عن موطن الإثارة
قدر المستطاع.

ومن ذلك قوة الاحتمال، ومحاربة
اليأس، وطرد الهم والكآبة.

14_ التغاضي والتغافل: فذلك

من أخلاق الأكابر والعظماء، وهو مما
يعين على استبقاء المودة واستجلابها،
وعلى وأد العداوة وإخلاق المباغضة.

ثم إنه دليل على سُموِّ النفس، وشفافيتها، وهو مما يرفع المنزلة، ويعلي المكانة.

قال ابن الأثير متحدثاً عن صلاح الدين الأيوبي: = وكان × حليماً حسن الأخلاق، متواضعاً، صبوراً على ما يكره، كثير التغافل عن ذنوب أصحابه، يسمع من أحدهم ما يكره، ولا يُعلمه بذلك، ولا يتغير عليه.

وبلغني أنه كان جالساً وعنده جماعة، فرمى بعض المماليك بعضاً بسرموز فأخطأته⁽¹⁾، ووصلت إلى صلاح الدين فأخطأته، ووقعت بالقرب منه، فالتفت إلى الجهة الأخرى يكلم جليسه؛ ليتغافل عنها+.

وكان الشيخ محمد الأمين الشنقيطي × كثير التغاضي عن كثير

⁽¹⁾ السرموزة : نعل معروفة وهي كلمة فارسية معناها رأس الخف.

من الأمور في حق نفسه، وحينما يسأل عن ذلك كان يقول:

ليس الغبيُّ بسيد لكنَّ سيِّدَ قومه
فمن قومه المتغاب.

15_الحلم: فالحلم من أشرف الأخلاق، وأحقها بذوي الألباب؛ لما فيه من سلامة العرض، وراحة الجسد، واجتلاب الحمد.

وحد الحلم ضبط النفس عند هيجان الغضب.

وليس من شرط الحلم ألا يغضب الحليم، وإنما إذا ثار به الغضب عند هجوم دواعيه كفَّ سورتَه بحزمه، وأطفأ ثائرتَه بحلمه.

فإذا اتصف المرء بالحلم كثر محبوبه، وقل شائئوه، وعلت منزلته، ووفرت كرامته.

هذا وستتضح بعض معالم الحلم في الفقرات الآتية_ إن شاء الله_.

16 الإعراض عن الجاهلين:

فمن أعرض عن الجاهلين حمى
عرضه، وأراح نفسه، وسلم من سماع
ما يؤذيه.

قال عز وجل: [خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ
بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ] (الأعراف: 199).

فبالإعراض عن الجاهلين يحفظ
الرجل على نفسه عزتها؛ إذ يرفعها
عن الطائفة التي تلذ المهاترة
والإقذاع، قال بعض الشعراء:

إني لأعرضُ عن حتى يقولَ رجالٌ
أشياءَ أشمَعُما إنهم حُمُقا
أخشى جوابَ فسئلَ وظنَّ
سفيه لا حياءَ له أناساً أنه صدقا
والعرب تقول: = إن من ابتغاء الخير
اتقاء الشرِّ +.

= وروي أنَّ رجلاً نال من عمر بن
عبد العزيز، فلم يُجِبْهُ، فقيل له: ما
يمنعك منه؟ قال: التقيُّ مُلجَمٌ +.

17_ الترفع عن السباب: فذلك

من شرف النفس، وعلوَّ الهمة، كما
قالت الحكماء: = شرف النفس أن
تحمل المكاره كما تحمل المكارم +.

= قال رجل من قريش: ما أظن
معاوية أغضبه شيء قط.

فقال بعضهم: إن ذكرت أمه غضب.

فقال مالك بن أسماء المنى

القرشي: أنا أغضبه إن جعلتم لي

جُعلاً، ففعلوا، فأتاه في الموسم، فقال

له: يا أمير المؤمنين إن عينك

لتشبهان عيني أمك.

قال: نعم كانتا عينين طالما أعجبتا

أبا سفيان! ثم دعا موله شقران فقال

له: أعدد لأسماء المنى ريةً ابنيها؛ فإني

قد قتلته وهو لا يدري.

فرجع، وأخذ الجعل، فقبل له: إن

أتيت عمرو بن الزبير فقلت له مثل ما

قلت لمعاوية أعطيناك كذا وكذا.

فأتاه فقال له ذلك، فأمر بضربه حتى مات.

فبلغ معاوية، فقال: أنا والله قتلته، وبعث إلى أمه بديته، وأنشأ يقول:

أَلَا قُلْ لَأَسْمَاءٍ فَإِنِّي لَعَمْرُ اللَّهِ
المنه . أمُّ مالك أهلك مالكا

= وروي أن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة خرج ليلة في السَّحَرِ إلى المسجد ومع حَرَسِيٍّ، فمَرَّ بِرَجُلٍ نَائِمٍ على الطريق، فَعَثَرَ بِهِ، فقال: أَمَجْنُونَ أنت؟ فقال عمر: لا؛ فَهَمَّ الحَرَسِيُّ بِهِ، فقال عمر: مَهْ؛ فإنه سألني: أَمَجْنُونَ أنت؟ فقلت: لا+.

= وجاء رجل إلى الأحنف بن قيس فلطم وجهه، فقال: بسم الله، يا ابن أخي ما دعاك إلى هذا؟ قال: آليت⁽¹⁾ نَ الطِّمِّ سَيِّدَ العَرَبِ من بني تميم.

⁽¹⁾ () آليت : حلفت وأقسمت، والالية : الحلف.

الحميدة رضي الله عنه قال: فُبِّرَ بيمينك، فما أنا بسيدها، سيدها حارثةُ ابن قُدّامة.

فذهب الرجل فلطم حارثة، فقام إليه حارثة بالسيف فقطع يمينه. فبلغ ذلك الأحنف، فقال: أنا والله قطعتها+.

قال الأصمعي: =بلغني أن رجلاً قال لآخر: والله لئن قلت واحدةً لتسمعن عشراً.

فقال الآخر: لكنك إن قلت عشراً لم تسمع واحدة!+.

=وشتم رجل الحسن، وأرَبى عليه، فقال له: أما أنت فما أبقيت شيئاً، وما يعلم الله أكثر+.

وقال الشافعي ×:

إذا سبني نذلٌ وما العيب إلا أن
تأبذُّ، فَعَةً أكرم، مسابه
ولو لم تكن نفسي عليّ عزيزةً
لَمَكَّنْهَا من كل نذل تحاربه

18_ الاستهانة بالمسيء: وذلك

ضرب من ضروب الأنفة والعزة، ومن مستحسن الكبر والإعجاب.

= حكي عن مصعب بن الزبير أنه لما ولي العراق جلس يوماً لعطاء الجند، وأمر مناديه، فنادى: أين عمرو بن جرموز وهو الذي قتل أباه الزبير فقيل له: أيها الأمير، إنه قد تباعد في الأرض.

فقال: أويظن الجاهل أنني أقيده_ أيُّ أقتص منه_ بأبي عبد الله؟ فليظهر أمناً؛ ليأخذ عطاءه موفراً، فَعَدَّ الناسُ ذلك من مستحسن الكبر+.

ومثل ذلك قوله بعض الزعماء في شعره:

أوكلماطنَّ إن الذبابَ إذا
الذبابُ طرَّ دُئُه عليه كرم

= وأكثر رجل من سب الأحنف وهو لا يجيبه، فقال السابُّ: والله ما منعه من جوابي إلا هواني عليه+.

وفي مثله يقول الشاعر:

الحميدة
نَجَابُكَ لَوْمُكَ حَمْنُهُ مَقَادِيرُهُ
 منحج . الذباب . أد . بنالا
 = وشتتم رجل الأحنف، وجعل يتبعه
 حتى بلغ حَيْه، فقال الأحنف: يا هذا إن
 كان بقي في نفسك شيء فهاته،
 وانصرف؛ لا يسمعك بعض سفهائنا؛
 فتلقى ما تكره + .

وقيل للشعبي: فلان يتنقصك
 وبشتمك، فتمثل الشعبي بقول كثير:
هِنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَ لَعْرَةٍ مِنْ
 داء مخاب . أعراضنا ما
أَسِيئِي بِنَا أَوْ لَدِينَا وَلَا مَقْلِيَّةً
 أحسن . لا ملمة . أد . تقلت
 = وأسمع رجل ابن هبيرة فأعرض
 عنه، فقال: إياك أعني، فقال له:
 وعنك أعرض + .

19_ نسيان الأذية: وذلك بأن
 تنسى أذية من نالك بسوء؛ ليصفو
 قلبك له، ولا تستوحش منه؛ فمن تَذَكَّرَ
 إساءة إخوانه لم تصف له مودتهم،
 ومن تذكر إساءة الناس إليه لم يطب

له العيش معهم; فانسَ ما استطعت النسيان.

20_ العفو والصفح ومقابلة الإساءة بالإحسان: فهذا سبب لعلو المنزلة، ورفعة الدرجة، وفيه من الطمأنينة، والسكينة، والحلاوة، وشرف النفس، وعزها، وترفعها عن تشفيها بالانتقام_ ما ليس شيء منه في المقابلة والانتقام.

قال النبي_ عليه الصلاة والسلام_:
وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً + (1).

وقال عمر بن عبد العزيز ×: = أحبُّ الأمور إلى ثلاثة: العفو عند المقدرة، والقصدُ في الجِدَّة، والرفق بالعبْدَةِ +.
= وعن داود بن الزبير قال: قال أيوب: لا ينبل الرجل حتى يكون فيه

(1) رواه مسلم (2588).

خصلتان: العفة عمّا في أيدي الناس،
والتجاوز عنهم +.

وقال الشافعي ×:

لما عفوت ولم أحقد علم أحد
أرحت نفسي من ظلم العداوات

ومن جميل ما يذكر في هذا قول المقنع الكندي:

وإن الذي بيني وبين بني عمي
مستبينه - أنه -
إذا قدحوا لي نازجاً
جرت بي ندهم
وإن أكلوا لحمي
فأنت لحمهم
ولا أحمل الحقد
القديع عليهم

وقال الشيخ محمد الأمين

الشنقيطي ×:

وإنني لأكسو الخائف حذاه

وعن عبد الملك أو قيس عبد الملك
قال: = قام عمر بن عبد العزيز إلى
قائلته يعني لنومة القيلولة فعرض له
رجل بيده طومار صحيفة
مطوية فظن القوم أنه يريد أمير

المؤمنين، فخاف أن يحبس دونه، فرماه بالطومار، فالتفت عمر، فوقع في وجهه، فشجّه.

قال: فنظرْتُ إلى الدماء تسيل على وجهه وهو قائم في الشمس، فلم يبرح حتى قرأ الطومار، وأمر له بحاجته، وخلي سبيله+.

وقال ابن القيم × متحدثاً عن حسن الخلق والعفو، والإحسان إلى من أساء: = وما رأيت أحداً أجمع لهذه الخصال من شيخ الإسلام ابن تيمية_ قدس الله روحه_ وكان بعض أصحابه الأكابر يقول: وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه.

وما رأيتَه يدعو على أحد منهم قط، وكان يدعو لهم.

وجئت يوماً مبشراً له بموت أكبر أعدائه، وأشيدهم عداوة وأذى له_ فنهرني، وتنكر لي، واسترجع، ثم

قام من فوره إلى بيت أهله، فعزاهم،
وقال: إني لكم مكانه، ولا يكون لكم
أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا
وساعدتكم فيه، ونحو هذا من الكلام،
فسُروا به، ودعوا له، وعظموا هذه
الحال منه، فرحمه الله ورضي عنه+.

فإذا كان الأمر كذلك فإنه يجدر
بالعاقل كما قال ابن حبان:
=توطين نفسه على لزوم العفو عن
الناس كافة، وترك الخروج لمجازاة
الإساءة؛ إذ لا سبب لتسكين الإساءة
أحسن من الإحسان، ولا سبب لنماء
الإساءة وتهيجها أشد من الاستعمال
بمثلها+.

وقد يظن ظانُّ أن العفو عن
المسيء، والإحسان إليه مع القدرة
عليه موجب للذلة والمهانة، وأنه قد
يجر إلى تناول السفهاء.

وهذا خطأ؛ ذلك أن العفو والحلم لا يشتهيه بالذلة بحال؛ فإن الذلة احتمال الأذى على وجه يذهب بالكرامة، أما الحلم فهو إغضاء الرجل عن المكروه، حيث يزيد الإغضاء في أعين الناس رفعة ومهابة.

سياسة الحلم لا **فهو المهيب ولا**
بطشٌ بكدرها **تخشى بهادها**
فالعفو إسقاط حقك جوداً، وكرماً، وإحساناً مع قدرتك على الانتقام، فتؤثر الترك؛ رغبة في الإحسان ومكارم الأخلاق.

بخلاف الذل؛ فإن صاحبه يترك الانتقام عجزاً، وخوفاً، ومهانةً نفس، فهذا غير محمود، بل لعل المنتقم بالحق أحسن حالاً منه.

21_ السخاء: فالسخاء محبة ومحمدة، كما أن البخل مذمة ومبغضة، فالسخاء يجلب المودة،

وينفي العداوة، ويكسب الذكر الجميل، ويخفي العيوب والمساوي.

وإن كثرت عيبك فمسترك أن يكون
تستر بالسخاء فكأن عيبك
يُعطيها كما قيل
لما غطاء
السخاء

فإذا ما اتصف الإنسان بالسخاء زكت نفسه، ولانت عريكته، وقاده ذلك إلى أن يترقى في مكارم الأخلاق، ومدارج الفضيلة؛ فالسخي قريب من كل خير وبر.

ولهذا كان الأكابر يبادرون إلى تلك الخلة، ويحرصون كل الحرص على اكتسابها، ويوصون غيرهم بأن يتحلى بها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: =ثلاثة لا أكافئهم: رجل بداني بالسلام، ورجل وسَّع لي في المجلس، ورجل اغبَّرت قدماه في المشي إليّ؛

إرادة التسليم عليّ. أما الرابع فلا يكافئه عني إلا الله !

قيل: من هو؟ قال: رجل نزل به أمر، فبات ليلته يفكر بم ينزله، ثم رأني أهلاً لحاجته؛ فأنزلها بي +.

قال الرافعي X: = فمن ألزم نفسه الجود والإنفاق راضها رياضةً عمليةً كرياضة العضل بأثقال الحديد، ومعاناة القوة في الصراع ونحوه.

أما الشح فلا يناقض تلك الطبيعة، ولكنها يدعها جامدة مستعصية، لا تلين، ولا تستجيب، ولا تتيسر +.

ومما تحس الإشارة إليه أن السخاء سخاءان؛ سخاوة نفس الرجل بما في يديه، وسخاوته عمّا في أيدي الناس.

وتركه ما في أيدي الناس أمحض في التكرم، وأبراً من المدنس، وأنزله من العيب.

فإن هو جمعهما، فبذل وعف فقد استكمل الجود والكرم.

22_ نسيان المعروف

والإحسان إلى الناس: وهذه مرتبة عالية، ومنزلة رفيعة، وهي أن تنسى ما يصدر منك من إحسان، حتى كأنه لم يصدر.

فمن أراد أن يرتقي في المكارم فلينس ما قدم من إحسان ومعروف؛ حتى يسلم من المنة والترفع على الناس، ولأجل أن يتأهل لنيل مكارم أخرى أرفع وأرفع.

23_ الرضا بالقليل من الناس،

وترك مطالبتهم بالمثل: وذلك بأن يأخذ منهم ما سهل عليهم، وطوّعت له به أنفسهم سماحة واختياراً، وألا يحملهم على العنت والمشقة.

قال تعالى: [**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**]
(الأعراف: 199).

قال عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما في هذه الآية: =أمر الله نبيه أن يأخذ العفو من أخلاق الناس +.

وقال مجاهد: =يعني خذ العفو من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تخسيس، مثل قبول الأعذار، والعفو، والمساهلة وترك الاستقصاء في البحث والتفتيش عن حقائق بواطنهم +.

قال المقنع الكندي واصفاً حاله مع قومه:

وأعطيهم مالي **وإن قلّ مالي لم**
إذا كنت واحداً **أكلفمُ ، فدا**

وقال الآخر:

خذ العفو واصفح **ودع كدر الأخلاق**
عن أمور كثيرة **واعمد لما صفا**

=ولما قدم حاتم الأصم إلى أحمد

بن حنبل قال له: أحمد بعد بشاشته

به: أخبرني كيف التخلص إلى
السلامة؟

فقال له حاتم: بثلاثة أشياء.

فقال أحمد: ما هي؟

قال: تعطيتهم مالك، ولا تأخذ مالهم،
وتقضي حقوقهم، ولا تطالبهم بقضاء
حقوقك، وتصبر على أذاهم ولا تؤذهم.

فقال أحمد: إنها لصعبة!

قال حاتم: وليتك تسلم+.

قال الرافعي ×: إن السعادة

الإنسانية الصحيحة في العطاء دون

الأخذ، وإن الزائفة هي الأخذ دون

العطاء، وذلك آخر ما انتهت إليه

فلسفة الأخلاق+.

24_ احتساب الأجر عند الله_ عز

وجل_: فهذا الأمر من أعظم ما يعين

على اكتساب الأخلاق الفاضلة، فهو

مما يعين على الصبر، والمجاهدة،

وتحمل أذى الناس؛ فإذا أيقن المسلم

أن الله عز وجل سيجزيه على حسن خلقه ومجاهدته لنفسه فإنه سيحرص على اكتساب محاسن الأخلاق، وسيهون عليه ما يلقاه في ذلك السبيل.

25_ **تَجَنَّبُ الغضب:** لأن الغضب

جمرة تتقد في القلب، وتدعو إلى السطوة والانتقام والتشفي.

فإذا ما ضبط الإنسان نفسه عند الغضب، وكبح جماحها عند اشتداد سورتها فإنه يحفظ على نفسه عزتها وكرامتها، وينأى بها عن ذل الاعتذار، ومغبة الندم، ومذمة الانتقام.

عن أبي هريرة ÷ قال: **= جاء رجل فقال: يا رسول الله، أوصني، فقال: لا تغضب، ثم ردد مرارًا، قال: لا تغضب+⁽¹⁾.**

⁽¹⁾ () رواه البخاري 7/99.

قال الماوردي: = فينبغي لذي اللب السوي، والحزم القوي أن يتلقى قوة الغضب بحلمه فيصدها، ويقابل دواعي شيرته بحزمه فيردها؛ ليحظى بأجل الخيرة، ويسعد بحميد العاقبة +.

هذا ومما يعين المرء على تسكين الغضب أن يذكر الله عز وجل وأن ينتقل عن الحالة التي هو عليها، وأن يتذكر ثواب العفو وعواقب الغضب، وأن يوطن المرء نفسه على ما يصيبه من أذى الخلق، وألا ينفذ غضبه بعد أن يغضب.

26_ تجنب الجدل: لأن الجدل

يذكي العداوة، ويورث الشقاق، ويقود إلى الكذب، ويدعو إلى التشفي من الآخرين.

فإذا تجنبه المرء سلم من اللجاج، وحافظ على صفاء قلبه، وأمن من

كشفت عيوبه، وإطلاق لسانه في بذئ الألفاظ، وساقط القول.

ثم إن اضطر إلى الجدال فليكن جدالاً هادئاً يراد به الوصول إلى الحق، وليكن بالتي هي أحسن وأرفق.
قال تعالى: **[وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ]** (النحل: 125).

أما إذا لَجَّ الخصم في الجدال، وعلا صوته في المجلس فإن السكوت أولى، وإن أفضل طريقة لكسب الجدال حينئذ هي تركه.

قال عليه الصلاة والسلام: **أنا زعيم ببیت في رِیض⁽¹⁾ الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت**

⁽¹⁾ رِیض الجنة : أدناها.

في أعلى الجنة لمن حسن خلقه⁽²⁾.

27_ التواصي بحسن الخلق:

وذلك بيث فضائل حسن الخلق، وبالتحذير من مساوئ الأخلاق، وينصح المبتلين بسوء الخلق، وبتشجيع حسني الأخلاق.

فحُسِّنُ الخلقِ من الحق،
والله تبارك وتعالى يقول:
[وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا
بِالصَّبْرِ] (العصر: 3).

28_ قبول النصح الهادف،

والنقد البناء: فهذا مما يعين على اكتساب الأخلاق الفاضلة، ومما يبعث على التخلي عن الأخلاق الساقطة.

⁽²⁾ رواه أبو داود (4800) من حديث أبي إمامة الباهلي، وصححه النووي في رياض الصالحين ص 301 وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود 3/911 رقم (4015).

فعلى من نُصح أن يتقبل النصح، وأن يأخذ به؛ حتى يكمل سُودده، وتتم مروءته، ويتناهى فضله.

بل ينبغي لمتطلب الكمالِ خصوصاً إذا كان رأساً مطاعاً أن يتقدم إلى خواصه، وثقاته، ومن كان يسكن إلى عقله من خدمه وحاشيته فيأمرهم أن يتفقدوا عيوبه ونقائصه، ويطلعوه عليها، ويعلموه بها؛ فهذا مما يبعثه للتنزه من العيوب، والتطهر من دنسها.

بل ينبغي له أن يتلقى من يهدي إليه شيئاً من عيوبه بالبشر والقبول، ويظهر له الفرح والسرور بما أطلعه عليه.

بل المستحسن أن يجيز الذي يوقفه على عيوبه أكثر مما يجيز المادح على المدح والثناء الجميل، ويشكر من ينبهه على نقصه، ويتحمل لومته

بفعله؛ فإنه إذا لزم هذه الطريقة، وعُرفَ بها أسرع أصحابه وخواصه إلى تنبيهه على عيوبه.

وإذا ثبت على ما فيه من النقص أنف منه، واستشعر أن أولئك سيُعيرونه به، ويصغرونه من أجله؛ فيلزمه حينئذ أن يأخذ نفسه بالتنزه من العيوب، ويقهرها على التخلص منها؛ فأصلاح النفس لا يتم بتجاهل عيوبها، ولا بإلقاء الستار عليها.

29_ قيام المرء بما يسند إليه

من عمل على أتم وجه: حتى يسلم بذلك من التوبيخ، والتقريع، ومن ذل الاعتذار، ومن تكدر النفس، واعتلال الأخلاق.

30_ التسليم بالخطأ إذا وقع،

والحذر من تسويغه: فذلك آية حسن الخلق، وعنوان علو الهمة، ثم إن فيه سلامة من الكذب، ومن

الشقاق; فالتسليم بالخطأ فضيلة ترفع قدر صاحبها.

31_ لزوم الرفق: قال عليه الصلاة والسلام: **«إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يَنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»**⁽¹⁾.

وقال: **«إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يَحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ»**⁽²⁾.

فمن أعطي الرفق والخلق فقد أعطى الخير كله والراحة، وحسن حاله في دنياه وآخرته.

ومن حرم الرفق والخلق كان ذلك سبيلاً إلى كل شر وبلية إلا من عصمه الله.

32_ لزوم التواضع:

فالتواضع في حقيقته هو بذل

⁽¹⁾ رواه مسلم (2594) عن عائشة.

⁽²⁾ رواه البخاري 7/8 , ومسلم (2165) عن عائشة.

الاحترام، والعطف، والمجاملة لمن يستحق ذلك.

فالتواضع دليل على كبر النفس، وعلو الهمة، وهو سبيل لاكتساب المعالي، والترقي في الكمالات، فهو خلق يرفع من قدر صاحبه، ويكسبه رضا أهل الفضل ومودتهم، ويبعثه على الاستفادة من كل أحد، وينأى به عن الكبر والتعالي.

33_ استعمال المداراة: فالناس

خلقوا للاجتماع لا للعزلة، وللتعارف لا للتناكر، وللتعاون لا لينفرد كل واحد بمرافق حياته.

وللإنسان عوارض نفسية كالحب، والبغض، والرضا، والغضب، والاستحسان والاستهجان.

فلو سار الإنسان على أن يكشف الناس بكل ما يعرض له من هذه الشؤون في كل وقت وعلى أي

حالٍ لاختل الاجتماع، ولم يحصل التعارف، وانقبضت الأيدي عن التعاون.

فكان من حكمة الله في خلقه أن هَيَّأَ الإنسان لأدب يتحامي به ما يحدث تقاطعاً، أو يدعو إلى تخاذل، ذلك الأدب هو المداراة.

فالمداراة مما يزرع المودة والألفة، ويجمع الآراء المشتتة، والقلوب المتنافرة.

والمداراة ترجع إلى حسن اللقاء، ولين الكلام، وتجنب ما يشعر بغيض أو غضب، أو استنكار إلا في أحوال يكون الإشعار به خيراً من كتمانها.

فمن المداراة أن يجمعك بالرجل يضمرك العداوة مجلس، فتقابله بوجه طلق، وتقضيه حق التحية، وترفق به في الخطاب.

قال أحد الحكماء:

وامنحه مالي وودي ونصرتي
وإن كان مخني الصلوة على نغصني

وقال الشافعي X:

إني أحيي عدوي لأدفع الشر عني

عند رفته وأظهر البشر

للانسار، أبعثه قلبه، محبات

بل إن المدارة قد تبلغ إلى إطفاء

العدواة، وقلبها إلى صداقة.

فما أحوج المرء إلى هذه الخصلة

الحميدة، خصوصاً مع من لا بد له من

معاشرته، أو ممن يتوقع الأذى منه.

قال ابن الحنفية: = ليس بحكيم من

لم يعاشر بالمعروف من لم يجد من

معاشرته بُدّاً حتى يأتيه اللهمنه بالفرج

أو المخرج +.

وقال العتابي: = المداراة سياسة

لطيفة، لا يستغني عنها مَلِكٌ ولا

سُوْقَةٌ، يجتلبون بها المنافع، ويدفعون

بها المضار، فمن كثرت مداراته كان

في ذمة الحمد والسلامة +.

76 الأسباب المفيدة في اكتساب الأخلاق الحميدة

وقال بعضهم: = ينبغي للعقل أن يداري زمانه مداراة السابح في الماء الجاري +.

وقال الحسن: = حسن السؤال نصف العلم، ومداراة الناس نصف العقل، والقصد في المعيشة نصف المؤونة +.

ومما ينسب لأمير المؤمنين عليُّ

÷:

يقول لك العقل إذا أنت لم تَقْدِرْ
الذي نَسَبَ المرء، عدواً فداره
34_ لزوم الصدق: فإن للصدق

آثاراً حميدة، وعوائد عديدة؛ فالصدق حسنة تنساق بصاحبها إلى الحسنات، فهو دليل على حسن السيرة، ونقاء السريرة، وسمو الهمة، ورجحان العقل.

فبالصدق يشرف قدر المرء، وتعلو منزلته، ويصفو بهاله، وبطيب عيشه؛ فهو ينجي صاحبه من رجس الكذب،

ووخز الضمير، وذل الاعتذار، ويحميه من إساءة الناس إليه، ونزع الثقة منه، كما أنه يكسبه عزة، وشجاعة، وثقة في النفس، فيظل موفور الكرامة، عزيز النفس، مهيب الجناح.

ولا يمكن أن يستقيم لأحد سؤدد، ولا تعلو له مكانة، ولا يحرز قبولاً في القلوب، ما لم يرزق لسان صدق. ثم إن الصدق يهدي إلى البر، وحسن الخلق من جملة ذلك البر.

35_ تجنّب كثرة اللوم والتعنيف على من أساء؛ فلا

يحسن بالعاقل أن يسرف في لوم من أساء، خصوصاً إذا كان المسيء جاهلاً، أو كان ممن ينذر وقوع الإساءة منه؛ فكثرة اللوم مدعاة للغضب، وغلظ الطبع.

ثم إنها موجبة للعداوة، ومجلبة لسماع ما يؤذي.

فالعاقل اللبيب لا يعاتب إخوانه على كل صغيرة وكبيرة، بل يلتمس لهم المعاذير، ويحملهم على أحسن المحامل.

ثم إن كان هناك ما يستوجب العتاب فليكن عتاباً لينا رقيقاً.

36_ تجنب الوقعة في الناس:

فالوقعة في الناس، والتعرض لعيوبهم ومغامزهم مما يورث العدواة، ويشوش على القلب، فتسوء الأخلاق تبعاً لذلك.

بل إن ذلك مدعاة لأن يبحث الناس عن معائب ذلك الشخص.

ومن دعا الناسَ ذمَّوه بالحق
الذمُّ الباطل.

قالت أعرابية توصي ولدها: =إياك والتعرض للعيوب؛ فتنخذ غرضاً، وخليق ألا يثبت الغرض على كثرة السهام، وقلما اعتورت السهام غرضاً حتى يهي ما اشتدَّ من قوته +.

الحمدة
وقال الأحنف ÷: = من أسرع إلى
الناس فيما يكرهون قالوا فيه ما لا
يعلمون +.

37_ أن يضع المرء نفسه

موضع خصمه: فهذا يدعو لالتماس
المعاذير، والكف عن إنفاذ الغضب،
والبعد عن إساءة الظن.

فالواحد منّا على سبيل
المثال ينزعج كثيراً إذا كان خلفه في
السيارة شخص يطلق الأبواق، ونحن
قد نقع موقعه ونفعل ما فعله، إما
حرصاً على اللحاق بموعد مهم، أو أن
يكون مع بعضنا مريض، أو نحو ذلك.

فإذا وضعنا أنفسنا موضع الخصم
وجدنا ما يسوغ فعله، فنُقصر بذلك عن
الإساءة والجهل، ونحتفظ بهدوئنا
وحلمنا.

قال ابن المقفع: =أعدلُ السَّيرِ أن تقيسَ الناسَ بنفسك; فلا تأتي إليهم إلا ما ترضى أن يؤتى إليك+.
قال ابن حزم X: =من أراد الإنصاف فليتوهم نفسه مكان خصمه; فإنه يلوح له وجه تعسفه+.

38_ أن يتخذ الناس مرآة لنفسه: فهذا مما يحسن بالمرء فعله، والأخذ به، فكل ما كرهه، ونفر عنه من قول، أو فعل، أو خلق فليتنجبه، وما أحبه من ذلك واستحسنه فليفعله.

وإذا أعجبتك فكنه تكن مثل ما

خصاك أمراً؛ فليس على إذا جئتها حاجب

المحسد بحبك

39_ مصاحبة الأخيار وأهل الأخلاق الفاضلة: فهذا الأمر من أعظم ما يربي على مكارم الأخلاق، وعلى رسوخها في النفس; فالمرء

مولع بمحاكاة من حوله، شديد التأثير
بمن يصاحبه.

والصداقة الشريفة تشبه سائر
الفضائل من حيث رسوخها في
النفوس، وإيتاؤها ثمراً طيباً في كل
حين؛ فهي توجد من الجبان شجاعة،
ومن البخيل سخاءً.

فالجبان قد تدفعه قوة الصداقة إلى
أن يخوض في خطر؛ ليحمي صديقه
من نكبة.

والبخيل قد تدفعه قوة الصداقة إلى
أن يبذل جانباً من ماله؛ لإنقاذ صديقه
من شدة.

فالصداقة المتينة لا تحلُّ في نفس
إلا هذبت أخلاقها الذميمة.

فالمتكبر تنزل به الصداقة إلى أن
يتواضع لأصدقائه، وسريع الغضب تضع
الصداقة في نفسه شيئاً من كظم
الغيظ، فيجلس إلى أصدقائه في حلم

وأناة، وربما اعتاد التواضع والحلم،
فيصير بعد ذلك متواضعاً حليماً.
فإذا ما وفق المرء لصحبة الأجلاء
العقلاء من ذوي الدين والمروءة_ فإن
ذلك من علامات توفيقه وهدايته.
فإذا كان الأمر كذلك فما أحرى بذي
اللبِّ أن يبحث عن إخوان الثقات؛
حتى يعينوه على كل خير، ويقصروه
عن كل شر.

**40_ الاختلاف إلى أهل الحلم
والفضل وذوي المروءات:** فإذا
اختلف المرء إلى هؤلاء، وأكثر من
لقاتهم وزيارتهم_ ولو لم يصاحبهم
باستمرار_ يتَّخَلق بأخلاقهم، وقبس من
سمتهم ودلهم.

يروى أن الأحنف بن قيس قال: =كنا
نختلف إلى قيس بن عاصم نتعلم منه
الحلم كما نتعلم الفقه +.

الحسنة
ولا يلزم أن يكون هؤلاء الذي يُخْتَلَف إليهم من أهل العلم، بل قد يوجد في العوام من جبل على كريم الخلال وحميد الخصال.

قال ابن حزم: =وقد رأيت من غمار العامة من يجري في الاعتدال وحميد الأخلاق إلى ما لا يتقدمه فيه حكيم عالم راض لنفسه، ولكنه قليل جداً+.

41_ أن ينتفع الإنسان بكل من خالطه وصاحبه: فصاحب البصيرة النافذة، والهمة العالية ينتفع بكل من خالطه وصاحبه، من كامل، وناقص، وسيئ الخلق وحسنه، وعديم المروءة، وغزيرها.

وكثير من الناس يتعلم المروءة ومكارم الأخلاق من الموصوفين بأضدادها، كما روي عن بعض الأكابر أنه كان له مملوك سيئ الخلق، فظ، غليظ، لا يناسبه.

فسئل عن ذلك فقال: أدرس عليه
مكارم الأخلاق.

وهذا يكون بمعرفة مكارم الأخلاق
في ضد أخلاقه، ويكون بتمرين النفس
على مصاحبته، ومعاشرته، والصبر
عليه.

بل إن كثيراً من العقلاء يتعلم من
الحيوانات البهم أموراً تنفعه في
معاشه، وأخلاقه، وصناعته، وحربه،
وحزمه، وصبره.

قيل لرجل: مَنْ عَلمَ البكور في
حوائجك أوَّلَ النَّهارِ لا تُخِلُّ به؟

قال: مَنْ عَلمَ الطير تغدو خماصاً
كل بكرة في طلب أقواتها على قربها
وبعدها، لا تسأم ذلك ولا تخاف ما
يعرض لها في الجو والأرض.

وقيل لآخر: مَنْ عَلمَ السكون،
والتحفظ، والتماوت حتى تظفر بإربك،

فإذا ظفرت به وثبت وثوب الأسد على فريسته ؟

قال: الذي علم الهرة أن ترصد جحر الفأرة، فلا تتحرك، ولا تتلوى، ولا تختلج، حتى كأنها ميتة، حتى إذا برزت الفأرة وثبت عليها كالأسد.

وقيل لآخر: من علمك حسن الإيثار والبذل والسماحة؟

قال: من علم الديك يصادف الحبة في الأرض، وهو يحتاج إليها ولا يأكلها، بل يستدعي الدجاج، ويطلبهن طلباً حثيثاً حتى تجيء الواحدة منهن، فتلتقطها وهو مسرور بذلك، طيب النفس به.

وإذا وضعت له الحبّ الكثير فرّقه ههنا، وههنا، وإن لم يكن له دجاج؛ لأن طبعه قد ألف البذل والجود، فهو يرى أنه من اللؤم أن يستبد وحده بالطعام !

42_ تَوطِينِ النَفْسِ عَلى الاعتدال حال السراء والضراء:

فيحسن بالعاقل الذي يروم نيل المعالي، واكتساب الفضائل أن يوطن نفسه على الاعتدال حال السراء والضراء؛ لأن من أدب صاحب المروءة أن يقف موقف الاعتدال في حالي الضراء والسراء.

43_ معرفة أحوال الناس، ومراعاة عقولهم، ومعاملتهم

بمقتضى ذلك: فهذا الأمر دليل على جودة النظر في سياسة الأمور، وعلى حسن التصرف في تقدير وسائل الخير، وهو مما يعين على اكتساب الأخلاق الرفيعة، وعلى استبقاء المودة في قلوب الناس.

فالرجل العاقل الحكيم الحازم يُحْكِم هذا الأمر، ويتنفع به عند لقائه بالطبقات المختلفة، فتراه يَزِنُ عقولَ

من يلاقونه، ويحس ما تكن صدورهم، وتنزع إليه نفوسهم، فيصاحب الناس، ويشهد مجالسهم، وهو على بصيرة مما وراء ألسنتهم من عقولٍ، وسرائرٍ، وعواطفٍ.

فيتيسر له أن يسايرهم إلا أن ينحرفوا عن الرشد، ويتحامى ما يؤلمهم إلا أن يتألموا من صوت الحق. ومراعاة عقول الناس وطباعهم ونزعاتهم فيما لا يُقعدُ حقاً، ولا يقيم باطلاً مظهرٌ من مظاهر الإنسانية المهذبة.

وكما أن هذا الأمر عائد إلى الألمعية_وهي في أصلها موهبة إلهية_فهو كذلك يأتي بالدربة، والممارسة، وتدبر سير أعظام الرجال، والنظر في مجاري الحوادث باعتبار، فهذا مما يقوي هذه الخصلة، ويرفع من شأنها.

44_مراعاة أدب المحادثة والمجالسة: فذلك مما يزرع المودة، وينمي الأخلاق الفاضلة. فمن الآداب التي يحسن مراعاتها الإصغاء للمتحدث، وتجنب مقاطعة، أو تكذيبه، أو الاستخفاف به، أو المبادرة إلى إكمال حديثه، أو القيام عنه قبل إتمام كلامه. ومنها تجنب المثرثرة والاستئثار بالمجلس، والحديث عن النفس على سبيل المفاخرة. ومن ذلك الحذر من سرعة الجواب، والتعميم في الذم، وتكرار الحديث بلا داع، وكثرة الأسئلة، وتعمد الإحراج فيها. ومن تلك الآداب الحديث بما يناسب المقام، والتواضع لمن يتحدث إليهم. ومن ذلك مراعاة المشاعر، وتجنب البذاءة وهجر القول.

ومن أدب المجالسة أن يجلس المرء على هيئة محترمة، بعيدة عما ينافي الذوق، أو يشعر بقلّة الأدب. ومنها إلقاء السلام حال الدخول وحال الخروج، والتفسيح في المجالس، وألا يقيم المرء شخصاً ويجلس مجلسه، وألا يفرق بين اثنين متجالسين إلا بإذنهما، وألا يتجاسر الاثنان دون الثالث.

إلى غير ذلك من الآداب التي تكسب الأخلاق الكريمة، وترفع قيمة صاحبها، وتبعثه إلى الإفادة والاستفادة⁽¹⁾.

45_المحافظة على الصلاة:

فهي سبب عظيم لحسن الخلق، وطلاقة الوجه، وطيب النفس، وسموها، وترفعها عن الدنيا.

⁽¹⁾ انظر: أخطاء في أدب المحادثة والمجالسة للكاتب.

كما أنها في مقابل ذلك تنهى عن
الفحشاء والمنكر.
وسوءُ الخلق من جملة ما تنهى عنه
الصلاة.

ثم إنها سبب لعلاج أدواء النفس
الكثيرة كالبخل، والشح، والحسد،
والهلع، والجزع، وغيرها.

46_الصيام: فبالصيام تزكو
النفوس، ويستقيم السلوك، وتنشأ
الأخلاق الرفيعة من رحمة، وكرم، وبر،
وصلة، وبشاشة، وطلاقة، ونحو ذلك.
وبالصيام تعلو الهمة، وتقوى الإرادة،
ويتحقق الاطمئنان.

فهو تدريب منظم على حمل
المكروه، ودرس مفيد في سياسة
المرء نفسه.

ثم إن الصيام يحرك النفوس للخير،
ويسكنها عن الشر، ويطلقها من أسر

العادات، ويُحَرِّزُهَا من فساد الطباع، ويجتث منها رعونة الغرائز. فهذه الأمور وغيرها من أعظم ما يعين على اكتساب حسن الخلق.

47_ قراءة القرآن بتدبر

وتعقل: فهو كتاب الهدى والنور، وهو كتاب الأخلاق الأول، وهو الذي يهدي للتي هي أقوم، وحسن الخلق من جملة ما يهدي إليه القرآن الكريم. اقرأ على سبيل المثال سورة الإسراء، أو سورة النور، أو سورة الحجرات أو غيرها. تجد الوصايا العظيمة الجامعة التي لا توجد في أي كتاب آخر، والتي لو أخذت بها البشرية لتغير مسارها، ولاستنارت سبلها، ولعاشت عيشة الهناءة والعز. بل إن آية واحدة في القرآن جمعت مكارم الأخلاق، وهي قوله تعالى:

**[خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ
عَنِ الْجَاهِلِينَ]** (الأعراف : 199).

ثم إن القرآن يدفع النفوس إلى الكمالات، ويملؤها بعظم الهمة، وإذا رأينا من بعض قرائه همماً ضئيلة، ونفوساً خاملةً فلأنهم لم يتدبروا آياته، ولم يتفقهوا في حكمه.

48_ تزكية النفس بالطاعة:

فإن تزكية النفس بطاعة الله عز وجل من أعظم ما يكسب الأخلاق الفاضلة إن لن تكن أعظمه.

قال تعالى: **[قَدْ أَفْلَحَ مَنْ
رَكَاهَا]** (الشمس : 9).

وقال: **[قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَرَكَاهَا]**
(الأعلى : 14).

49_ لزوم الحياء: فالحياء خلق

سَنِيٌّ، يبعث على فعل الجميل وترك القبيح.

فإذا تحلى المرء به انبعث إلى الفضائل، وأقصر عن الرذائل. والحياء كله خير، والحياء لا يأتي إلا بخير، والحياء خلق الإسلام، وهو شعبة من شعب الإيمان.

قال عليه الصلاة والسلام: **الحياء لا يأتي إلا بخير** ⁽¹⁾.

وقال: **إن لكل دين خلقاً؛ وخلق الإسلام الحياء** ⁽²⁾.

وقال: **الحياء شعبة من شعب الإيمان** ⁽³⁾.

وقال: **إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحي فاصنع ما شئت** +.

⁽¹⁾ رواه البخاري 7/100، ومسلم (37).

⁽²⁾ رواه ابن ماجه (4181)، وحسنه الألباني في صحيحه الجامع (2149).

⁽³⁾ رواه البخاري 1/8، ومسلم (35).

قال ابن حبان: = فالواجب على العاقل لزوم الحياء؛ لأنه أصل العقل، وبذر الخير، وتركه أصل الجهل، وبذر الجهل +.

قال الأصمعي: = سمعت أعرابياً يقول: من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه +.

50_ إفشاء السلام: فالسلام

مدعاة للمحبة، ومجلبة للمودة، فإذا ما أفشى الناس السلام توادوا، وتحابوا، وإذا توادوا وتحابوا زكت نفوسهم، وزالت الوحشة فيما بينهم، فتحسن أخلاقهم تبعاً لذلك.

عن أبي هريرة ÷ قال: قال رسول الله " : = لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أدلكم على شيء إذا

فعلتموه تحاببتهم؟ أفسحوا السلام بينكم⁽¹⁾.

قال عمر بن الخطاب ÷: = إن مما يُصَفِّي لك وِدَّ أخيك أن تبدأه بالسلام إذا لقيته، وأن تدعوه بأحب الأسماء إليه، وأن توسع له في المجلس +.

51_ إدامة النظر في السيرة

النبوية: فالسيرة النبوية تضع بين يدي قارئها أعظم صورة عرفتھا الإنسانية، وأكمل هدي وخلق في حياة البشرية.

قال ابن حزم ×: = من أراد خير الآخرة، وحكمة الدنيا، وعدل السيرة، والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها، واستحقاق الفضائل بأسرها_ فَلْيَقْتَدِ بِمُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ " وليستعمل

⁽¹⁾ رواه مسلم (54)، وأخرجه أبو داود (5193)، والترمذي (2688).

أخلاقه، وسيره ما أمكنه، أعاننا الله على الإتساء به بِمَنِّهِ آمين +.

52_ النظر في سير الصحابة

الكرام رضي الله عنهم: فهم أعلام الهدى، ومصايح الدجى، وهم الذين ورثوا عن رسول الله " هديه، وسمته، وخلقه.

فالنظر في سيرهم والإطلاع على أحوالهم يبعث على التأسى بهم، والاهتداء بهديهم.

52_ قراءة سير أهل الفضل

والحلم: فإن قراءة سيرهم، والنظر في تراجمهم مما يحرك العزيمة إلى المعالي ومكارم الأخلاق؛ ذلك أن حياة أولئك تتمثل أمام القارئ، وتوحي إليه بالافتداء بهم، والسير على منوالهم.

وكثيراً ما بعث الناس إلى محاسن الأخلاق حكاية قرؤها عن رجل فاضل، أو حادثة رويت عنه.

54_ قراءة كتب الشمائل

والكتب في الأخلاق: فإنها تنبه الإنسان على مكارم الأخلاق، وتذكره بفضلها، وتعينه على اكتسابها. كما أنها تحذره من مساوئ الأخلاق، وتبين له سوء عواقبها، وطرق التخلص منها.

والكتب في هذا الباب كثيرة جداً ومنها:
أ_ كتاب الشمائل المحمدية للترمذي.

ب_ كتب الأدب من الصحاح والسنن.
ج_ أدب الدنيا والدين للماوردي.
د_ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان.

هـ_ بهجة المجالس وأنس المجالس، وشحد الذاهن والهاجس لابن عبد البر. و عيون الأخبار لابن قتيبة.

الأَسبابُ المفيدة في اكتساب الأخلاق الحميدة

76

ز_ الأخلاق والسير في مداواة النفس لا بن حزم.
ح_ الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح.
ط_ عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة لعلي بن عبدالرحمن بن هذيل.
ي_ جوامع الآداب في أخلاق الأنجاء للقاسمي.
ك_ رسائل الإصلاح لمحمد الخضر حسين.

55_ الاطلاع على الحكم
المأثورة: فالحكم أقوال مأثورة، وكلمات موجزة مؤثرة، تشتمل على رأي سديد، وحكم صائب، وقول ناتج عن تجربة، وخبرة، ودراية بالأمور ومجرباتها.

والْحِكْمُ لَا تَصْدُرُ فِي الْغَالِبِ إِلَّا مِنْ
عَاقِلٍ حَكِيمٍ، قَدْ حَنَّتْهُ التَّجَارِبُ،
وَعَرَكَتُهُ الْأَيَّامُ، وَوَسَمَّتُهُ بِمِيسَمِهَا.
والحكم لها الأثر البالغ في النفوس؛
فهي تغري بالفضائل، وتبين معالمها،
وترشد إلى المكارم والمعالي، وتدعو
إلى اكتسابها، وتعين على التحلي بها؛
ذلك أن الحكمة وليدة التعقل، وثمره
التجربة، وعصارة الفكر.
والحكمة توجد في الشعر والنثر على
حد سواء.

ولقد ورد عن الأسلاف من الحكم
الجامعة، والوصايا النافعة ما يتعذر
جمعه واستقصاؤه.

وفيما يلي ذكر لشيء من ذلك زيادة
على ما ذكر في تضاعيف هذا الكتاب.
أَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهَا: = خلال المكارم عشر تكون في
الرجل ولا تكون في أبيه ولا ابنه، وقد

تكون في العبد ولا تكون في سيده،
يَقْسِمُهَا اللَّهُ لِمَنْ أَحَبَّ: صدق
الحديث، ومداراة الناس، وصلة
الرحم، وحفظ اللسان، والتذمم للجار،
وإعطاء السائل، والمكافأة بالصنائع،
وقرى الضيف، والوفاء بالعهد،
ورأسهن الحياء+.

ب_ وقال الشاعر أبو العمّيل يمدح

عبدالله بن طاهر، ويوصي مصعب بن عبدالله بن
طاهر أن يسير على نول أبيه:

يا مَنْ يَحَاوِلُ أَنْ	كخَلَالِ عِبْدِ اللَّهِ
فَلَأَقْضَى دَنْتَكَ	حَجَّ الْحَجِيجِ إِلَيْهِ
إِنْ كُنْتَ تَطْمَعُ أَنْ	فِي الْمَجْدِ
فَأَصْدُقْ وَعِفْ	وَأَخْلُبْمْ وَدَارِ
وَالطَّيْفُ وَلِئِنْ	وَأَخْبِرْمْ وَجِدْ
هَذَا الطَّرِيقَ إِلَيَّ	فَاسْلُكْ فَقَدْ

قال علي بن عبدالرحمن بن هذيل
عن هذه الأبيات: =وقد جمعت هذه

الأسباب المفيدة في اكتساب الأخلاق
الحسنة

79

الآيات خلال المكارم، وموجبات
السؤدد، وتفاريق المروءة.

ج_وقيل لقيس بن عاصم: =بِمَ
سَوَّدَكَ قَوْمُكَ؟ قال: بكفِّ الأذى،
وبذل الندى، ونصرة المولى+.

إن المكارم	فالعقل أولها
أخلاق: مطافه	الدنيا ثانیها
والعلم ثالثها	والصبر خامسها
والحلم رابعها	والصدق
والشكر سابعها	والرفق تاسعها
والحمد ثامنها	واللباس عاشمها

د_وقيل في وصف المكارم:

56_ معرفة الأمثال السائرة:

فالأمثال أقوال موجزة، تُشَبَّه حالاً
مُشاهدةً منظورة بأحوال سابقة،
والذي جمع بين الحال السابقة والحال
القائمة هو المماثلة.

هذا وللأمثال أثر في النفوس،
وسيرورة في الناس؛ فهي تبعث على

العمل، وتقوم السلوك، وتضيء السبل، وتهدي في معترك الحياة. وذلك بسبب ما تتضمنه من توجيه أو تنبيه أو تعليم؛ فالعاقل يسترشد إذا سمع المثل، والغافل يتذكر بالمثل ما مضى من حوادث التاريخ، وهكذا. وللأمثال أهداف تربوية وخلقية بما تدعو إليه من قيم نبيلة، ومثل عليا، وبما ترسمه للمرء في حياته من أنواع السلوك الحميد، والاحتياط للأمور، وحسن التصرف فيها، وبما تنهى عنه من السلوك السيئ، والتصرفات الشائنة.

ذلك أن الأمثال خفيفة الظل، سريعة الحفظ، تمزج الهزل بالجد، وتشير إلى ما تريد بطرف خفي، فتعالج كثيراً من الأمور بكلام يسير يصل إلى أعماق النفس.

وما من موقف يمر به الإنسان في حياته إلا ويجد من الأمثال ما يعبر عنه، ويُهَوِّنُ عليه بلاءه، أو يخفف من غلوائه، أو يوجهه الوجهة الصحيحة التي تقوم سلوكه، فَتُحَبِّبُهُ في الجميل، وتنفره من القبيح.

قال علي بن عبدالرحمن بن هذيل: = وليس يكمل أدب المرء حتى يعرف المثل السائر، والمبيت النادر، وما يحكى عن أهل العصور من الأخبار العجيبة، وما وقع لهم من الألفاظ البليغة، والمعاني الغريبة؛ ففي ذلك العلمُ بالأمور، والعقل المكتسب، والأدب الصادر عن ذي المروءة والحسب.+.

وهذا عند العرب رصيد ضخم من الأمثال لا يحويه كتاب، ولا يستوفيه مصنف.

76 الأسباب المفيدة في اكتساب الأخلاق الحميدة

ومن الكتب المؤلفة في هذا الشأن ما يلي:

- 1_ كتاب الأمثال لأبي عبيد.
- 2_ مجمع الأمثال للميداني.
- 3_ المستقصى من أمثال العرب للزمخشري.

هذا ما تيسر جمعه وتقييده من الأسباب والأمور المعينة على اكتساب حسن الخلق، والله المسؤؤل أن يهدينا لأرشد أمرنا، والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

الفهرس

- 3 مقدمة_
- 6 أسباب اكتساب حسن الخلق_
- 6 سلامة العقيدة_1
- 7 الدعاء_2
- 8 المجاهدة_3
- 9 المحاسبة_4
- 1 التفكير في الآثار المترتبة على_5
- 0 حسن الخلق
- 11 النظر في عواقب سوء الخلق_6
- الحذر من اليأس من إصلاح_7
- 11 النفس من إصلاح النفس
- 1 علو الهمة_8
- 2
- 1 الصبر_9
- 4
- 1 العفة_10
- 5
- 1 الشجاعة_11
- 5

- 1 12_العدل
- 5
- 1 13_تَكُلُّفُ الْبَشْرِ وَالطَّلَاقَةُ، وَتَجَنُّبُ
- 6 العبوس والتقطيب
- 2 14_التغاضي والتغافل
- 1
- 2 15_الحلم
- 2
- 2 16_الإعراض عن الجاهلين
- 3
- 2 17_الترفع عن السباب
- 4
- 2 18_الاستهانة بالمسيء
- 6
- 2 19_نسيان الأذية
- 8
- 2 20_العفو، والصفح، ومقابلة الإساءة
- 9 بالإحسان
- 3 21_السخاء
- 3
- 3 22_نسيان المعروف والإحسان على

- 5 الناس
3 الرضا بالقليل من الناس، وترك_23
6 مطالبتهم بالمثل
3 احتساب الأجر عند الله_عز_24
8 _وجل
3 تجنب الغضب_25
8
4 تجنب الجدال_26
0
4 التواصي بحسن الخلق_27
1
4 قبول النصح الهادف، والنقد_28
2 البناء
4 قيام المرء بما يسند إليه من_29
3 عمل على أتم وجه
4 التسليم بالخطأ إذا وقع، والحدز_30
3 من تسويغه
4 لزوم الرفق_31
4
4 لزوم التواضع_32

- 5
4 استعمال المداراة_33
5
4 لزوم الصدق_34
8
4 تجنب كثرة اللوم والتعنيف علي_35
9 من أساء
5 تجنب الوقيعة في الناس_36
0
5 أن يضع المرء نفسه موضع_37
1 خصمه
5 أن يتخذ الناس مرآة لنفسه_38
2
5 مصاحبة الأخيار وأهل الأخلاق_39
2 الفاضلة
5 الاختلاف إلى أهل الحلم،_40
4 والفضل وذوي المروءات
5 أن ينتفع الإنسان بكل من خالطه_41
5 وصاحبه
5 توطين النفس على الاعتدال_42

- 7 حال السراء والضراء
5 معرفة أحوال الناس، ومراعاة_43
8 عقولهم، ومعاملتهم بمقتضى ذلك
5 مراعاة_44 أدب المحادثة
9 والمجالسة
6 المحافظة على الصلاة_45
1
6 الصيام_46
1
6 قراءة القرآن بتدبر وتعقل_47
2
6 تزكي النفس بالطاعة_48
3
6 لزوم الحياء_49
3
6 إفشاء السلام_50
5
6 إدامة النظر في السيرة النبوية_51
6
6 النظر في سيرة الصحابة الكرام_52
7

الأَسْبَابُ الْمَفِيدَةُ فِي اكْتِسَابِ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ

76

- 6 53_ قراءة سيرة أهل الفضل والحكم_53
7
6 54_ قراءة كتب الشمائل والكتب في_54
8 الأخلاق
6 55_ الاطلاع على الحكم المأثورة_55
9
7 56_ معرفة الأمثال السائرة_56
2